

نص جديد حول الأمير عبد القادر في رحلة الألماني "بوكلر موسكاو" للجزائر سنة 1835م.
A new text on Emir Abdelkader on the German " Pückler-Muskau " trip to Algeria in 1835 AD

1-د. محمد الأمين بوحلوفة، جامعة أحمد زبانه غليزان (الجزائر)

Majrit711@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/11/05 تاريخ القبول: 2021/12/03 تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص : مثلت الجزائر بعد الإحتلال الفرنسي خلال القرن 19م، وجهة للعديد من الرحالة الأوروبيين الذين دونوا وقائعا وأحداثا مهمة عن تلك الفترة، وأصبحت تلك النصوص مهمة جدا لإعادة قراءة تاريخ تلك المرحلة الحرجة، بشكل يختلف عن ما كتبه المدرسة الكولونيالية التاريخية آنذاك. من بين الإشكاليات التي يمكن طرحها في هاته الورقة العلمية هي: ما الجديد الذي أمدنا به هذا النص الرحلي حول شخصية الأمير عبد القادر ومشروع دولته في سنواتها الأولى؟ وهل يمكن بناء صورة جديدة حول الأمير عبد القادر و دولته من خلال هذا النص؟. إن من أبرز النتائج التي تم التوصل إليها هي: أن هذه الرحلة تظهر مدى إهتمام الغرب بالشرق، خاصة في فترة القرن 19م، وأن هناك رحالة أوروبيون كثر زاروا الجزائر في تلك الفترة، وأعمالهم لازالت مغمورة إلى اليوم، وأن هذا النص الرحلي بين شخصية الأمير عبد القادر و دولته، وعلاقته مع الفرنسيين، الأمر الذي جعل منه رجل دولة بإعتراف الطرف الآخر، كذلك بين مدى حضور الخطاب الغربي، والذي كان سائدا آنذاك، والمتمثل في ثنائية التحضر والتوحش، وهي الذريعة التي إستعملها الإحتلال للدخول إلى البلدان التي كانت تعيش الإنحطاط ومنها الجزائر.

كلمات مفتاحية: الأمير عبد القادر، بوكلر موسكاو، الرحلة، الرحالة الأوروبيون، الألمان.

*- المؤلف المرسل

Abstract:

After the French occupation during the 19th century, Algeria represented a destination for many European travelers who wrote down important facts and events about that period, including the German Pückler-Muskau. This trip showed the extent of the West's interest in the East, especially in the period of the 19th century AD, and that there was a trip by many Europeans who visited Algeria in that period, and their works are still obscure to this day, and that this nomadic text shows the personality of Prince Abdel kader and his state.

Keywords: Pückler-Muskau. Prince Abdel kader. German travellers. Algeria.

مقدمة:

مثلّ إحتلال الجزائر سنة 1830م من طرف الفرنسيين وما تبعه من سياسة إستيطانية (إستقدام جماعات أوروبية من متخلف بلدان أوروبا) نوع من إعادة إحياء صورة الماضي عن الشرق وما فيه من خيرات، وكانت الدعاية الكولونيالية الفرنسية عن طريق صحافتها حاضرة بقوة لإنجاح مشروعها الإستيطاني، حيث أستهوت فكرة اكتشاف الجزائر الكثير من الرحالة الأوروبيين والمغامرين الأمر الذي أنتج الكثير من الكتابات حول الجزائر في الفترة المبكرة من الإحتلال.

أصبحت أحداث الجزائر (الإحتلال الفرنسي ومقاومة الأمير عبد القادر) حديث العامة في أوروبا، فأصدؤها وصلت حتى ألمانيا، واللافت في ذلك صدور مقالات صحفية تشيد بشخصية شاب عربي يقود المقاومة ضد الإحتلال الفرنسي يدعى الأمير عبد القادر، فبطولاته وإستراتيجته في مواجهة الفرنسيين ومشروعه السياسي المتمثل في إقامة دولة، كل هذا دفع الرحالة الأوروبيين إلى السفر للجزائر والوقوف على مشروعه، ومن بينهم رحالة ألماني يدعى "بوكلر موسكاو" (1785م-1871م) الذي نظم رحلة للجزائر قصد إكتشاف والتعرف على الأمير الشاب عبد القادر.

إذا كانت الرحلة نص يحاول من خلاله الرحالة سرد ما شاهده من وقائع داخل حيز جغرافي محدود، فإنه يمد المؤرخ بوقائع تاريخية مهمة تدفعه إلى إعادة إستقراء ذلك النص الرحلي لبناء نص تاريخي جديد عن شخصية أو واقعة قد تغفلها المصادر التاريخية أو لا تعطيها حقها، ومن هذا يمكن أن نؤسس لإشكالية ورقتنا العلمية هاته وهي: ما الجديد الذي أمدنا به هذا النص الرحلي حول شخصية الأمير عبد القادر ومشروع دولته في سنواتها الأولى؟ كيف كانت نظرة هذا الرحالة لرجل شرقي وقف في وجه الإحتلال الفرنسي؟ هل يمكن بناء صورة جديدة حول الأمير عبد القادر و دولته من خلال هذا النص؟ كل هذا سنحاول الإجابة عنه وفق المنهجية التالية:

أولا/ الرحالة الأمير بوكلر موسكاو -حياته، رحلاته ومؤلفاته-

ثانيا/ الوصول للجزائر ووصف الغرب الجزائري والطريق نحو عاصمة الأمير عبد القادر.

ثالثا/ الوصول عند الأمير عبد القادر -مشاهدات وآراء-

أولا/ الرحالة الأمير بوكلر موسكاو

1-حياته، رحلاته ومؤلفاته:

1-1 حياته: ولد الأمير هيرمان لودفيغ هاينريش فون بوكلر (30 أكتوبر 1785م - 4 فبراير 1871)

في قلعة موسكاو في لوساتيا العليا (سكسونيا) . وأصبح منذ سنة 1822م أميراً ونبياً ألمانياً، وقد اشتهر كرسام للمناظر الطبيعية بالإضافة لكونه كاتب ومستشرق ورحالة¹.

كان بوكلر-موسكاو الأول في خمسة أطفال للكونت كارل لودفيغ هانز إردمان بوكلر ، والكونتيسة كليمنتين من كالينبرج. ألتحق بفوج الفرسان السكسوني في مدينة درسدن لمدة قصيرة، بعدها سافر عبر فرنسا إلى إيطاليا. في عام 1811م وبعد وفاة والده ورث الحكم (بارون) موسكاو. انضم إلى حرب التحرير ضد نابليون ملك فرنسا، فغادر موسكاو. بعدها تم تعيينه حاكماً عسكرياً ومدنياً² لبروج³.

2-1 رحلاته: بعد الحرب تقاعد من الجيش وقام بجولة في بريطانيا العظمى لمدة عام، متنقلاً بين

الأوساط الأرستقراطية، فدرس المناظر الطبيعية في الحدائق⁴. في عام 1822م تم ترقيته إلى رتبة "فورست"⁵ من قبل الملك فريدريك ويليام الثالث (1797-1840م) ملك بروسيا. عاد إلى إنجلترا في عام 1828م حيث أصبح من المشاهير في مجتمع لندن، ثم أخذ يتجول في أيرلندا. لدى عودته إلى الوطن، نشر

¹ Christian Friedrich, Ulf Jacob und Marie-Ange Maillet (Hg.): Fürst Pückler und Frankreich. Ein bedeutendes Kapitel des deutsch-französischen Kulturtransfers. be.bra wissenschaft verlag, Berlin 2012.p08

² Ibid.24

³ مدينة تقع في بلجيكا.

⁴ Chevalier Rafael de Weryha-Wysoczański: Strategien des Privaten. Zum Landschaftspark von Humphry Repton und Fürst Pückler, Berlin 2004.p95

⁵ لقب أميري ألماني تم استخدامه خلال العصور الوسطى.

تقريرًا عن الفترة التي قضها في إنجلترا، وقد حقق الكتاب نجاحًا هائلًا في ألمانيا، وأثار ضجة كبيرة عندما ظهر باللغة الإنجليزية بعنوان جولة أمير ألماني¹ (1831-1832). Tour of a German Prince . بحكم شخصيته المغامرة، سافر بعد ذلك إلى الجزائر وتونس ومصر والسودان واستكشف النوبة القديمة. وقام بتوثيق تلك الزيارة في موقع النقعة² في السودان الحديث عام 1837م. وزار أيضا موقع مصورات الصفراء³ القريب، وفي المكانين قام بنقش اسمه على حجر المعابد⁴. في نفس العام اشترى فتاة من سوق العبيد بالقاهرة، وهي من الأورومو الإثيوبية أطلق عليها اسم Mahbuba "الحبيبة"، وقد اصطحبها إلى آسيا الصغرى واليونان وفيينا، حيث قدمها إلى المجتمع الأوروبي، لكنها أصيبت بمرض السل وتوفيت عام 1840. لاحقًا كتب عنها أنها "المخلوق الوحيد الذي أحبته أكثر من كل العالم".⁵

في عام 1871 توفي بوككر في برانيتز، بعد أن أوصى بإذابة جسده، لأن الحرق كان غير قانوني لأسباب دينية، و في 9 فبراير 1871 تم دفن بقايا جثته المشوهة في هرم أرضي محاط ببحيرة متنزّه في قلعة برانيتسر بسكسونيا . لم يترك أبناء وورث ممتلكاته إبنة أخته ماري فون باتشيلبل، أما التركة الأدبية

¹ Sharon Slater. PRINCE HERMANN VON PÜCKLER-MUSKAU IN LIMERICK, 1828. People & Genealogy. Nov 24, 2014.p02.

² مدينة أثرية سودانية قديمة كانت أحد مدن المملكة الكوشية.

³ المصورات هي اسم لموقع اثري كوشي في شمال السودان.

⁴ Ludmilla Assing-Grimelli, ed., Pückler-Muskau's Briefwechsel und Tagebücher ("Pückler-Muskau's letters and diaries . Hamburg 1873-1876, reprinted Bern 1971).p158.

⁵ Richard Pankhurst. The Life and Romance of an Ethiopian Slave-girl in Early Nineteenth-century Europe. African Studies Center of the University of California at Los Angeles, 1979.p55.

للأمير ورثتها الكاتبة لودميلا أسينغ¹، التي كتبت سيرته الذاتية ونشرتها بعد وفاته بالإضافة إلى مراسلات ومذكرات لم تُنشر خلال حياته².

3- مؤلفاته: ترك بوكلر مجموعة من التصانيف في الأدب و الرحلة والبستنة منها:

- رسالة متوفي 1830. Briefe eines Verstorbenen.

- جولة أمير ألماني، 4 أجزاء، 1831-1832م. Tour of a German Prince.

- تلميحات إلى البستنة الطبيعية، جنبًا إلى جنب مع وصف التطبيق العملي في موسكاو. 1834 م.

Andeutungen über Landschaftsgärtnerei verbunden mit der Beschreibung ihrer praktischen Anwendung in Muskau

-دورة ما قبل الأخيرة حول العالم لسيميلاسو. 1835م. Semilassos vorletzter

Weltgang

-سيميلاسو في إفريقيا، 5 مجلدات 1836م. Semilasso in Afrika

-من إمبراطورية محمد علي (في مصر)، 3 مجلدات، 1844م. Aus Mehemed

Ali's Reich (on Egypt)

-مراسلات ومذكرات الأمير هيرمان فون بوكلر موسكاو (رسائل ومذكرات)، 9 مجلدات، 1873-

76م. Briefwechsel und Tagebücher des Fürsten Hermann von Pückler-

Muskau (letters and diaries).

ثانيا/ الوصول للجزائر ووصف الغرب الجزائري والطريق نحو عاصمة

الأمير عبد القادر.

تجهز الأمير الألماني بوكلر للرحلة التي قادته من إنجلترا إلى شمال إفريقيا، بدءا بالجزائر وتونس ومصر والسودان، ذكر أحداثها في كتاب من خمسة أجزاء صدر سنة 1836م تحت عنوان "سيميلاسو في إفريقيا" Semilasso in Afrika وإسم سيميلاسو مستعار ويعني " المتوفى". والملاحظ في الجزء

¹ روزا لودميلا أسينغ (1821 م – 1880م) كاتبة ألمانية ذات أصل يهودي. لها عدة أعمال منها: نيكولاس جاتر (رواية)، ممثلو التغيير الجذري. رجال ونساء ثورة 1848م، رسائل من ألكسندر فون همبولت إلى فارنهاغن فون إنسي. بالإضافة لأعمال أخرى.

² Ludmilla Assing, Fürst Hermann von Pückler-Muskau, 1873.p

الذي يتحدث فيه عن رحلته للجزائر، أنه جاء على شكل رسائل كتبها مرة لصديقه ومرة لزوجته، فهو يصرح بإسمها قائلاً "يا عزيزتي لوسي!"¹.

كان ميناء تولون بفرنسا المكان الذي أفلح منه بوككر نحو الجزائر، حيث يستطرد في ذكر المدينة وكيف كان إنطباعه حينما عنها "...خلال إقامتي التي استمرت حوالي عشرة أيام في تولون. في الواقع أنا بالكاد أعرف مدينة ساحلية فقيرة ومملة للغاية."² بعدها يبدأ في سرد مغادرته نحو الجزائر قائلاً "...في صباح اليوم التالي عندما غادرنا تولون، كانت الرياح والطقس مواتيين، والبلد الرائع الواقع على الطريق، الذي أصبح أكثر جمالاً بسبب أشعة الشمس اللامعة...ويبدو أن الموسيقى العسكرية على متن سفينة الأدميرال كانت تحيي رحيلنا"³. بعدها توثق رسالة تاريخ إبحاره في المتوسط عندما كان بين الجزائر وفرنسا " البحر الأبيض المتوسط في 12 يناير 1835. أكتب إليك يا صديقي، من وسط سفينة التمساح، وهي تبحر بالضبط في منتصف الطريق بين فرنسا والجزائر، من بورت ماهون وجزيرتها الطويلة، التي تعلو فوقها قمة مايوركا الشاهقة، على مرأى ومسمع الريح التي تقترب من الجنوب"⁴.

بعد أن إستغرقت الرحلة يوماً واحداً، وصل بوككر إلى مدينة الجزائر، التي يصفها قائلاً "رصيف الجزائر 13 جانفي منتصف الليل... يا له من منظر رائع يحيط بي يا عزيزتي لوسي! لقد ألقينا المرساة في المكان المحدد الذي قصف منه اللورد إكسماوث الجزائر... البحر الأزرق يتألق بسلسلة كالمراة، على اليسار يرتفع جبل الأطلس الذي لا يزال مغطى بالثلج، مثل جبل سيراتوس المدبب، وعلى اليمين المنارة العالية مضاءة بشكل خافت بثلاث مآذن، مثل كتلة بيضاء متجمعة ترقد مثل مخلوق هامد عند سفح الجبل..."⁵.

بعد هذا الوصف يستطرد بوككر في وصف مدينة الجزائر ومحيطها وتاريخها وعناصرها البشرية في رسائل عديدة⁶، ولعل الملفت هو أن بوككر "توغل في محيط جبل الأطلس على رأس فرقة صغيرة من

¹ Hermann Pückler-Muskau. Travels and Adventures in Algiers, and Other Parts of Africa. R. Bentley, 1839.vol1.p17.

² Ibid.P04.

³ Ibid P15.16.

⁴ Ibid.pp.1.2

⁵ Ibid .P17.

⁶ كان عدد الرسائل 14 رسالة كلها تتحدث عن مدينة الجزائر و البلدة و بوفاريك، بالإضافة إلى بعض المحطات التاريخية خلال العهد التركي. للمزيد أنظر: Hermann Pückler-Muskau. Travels and Adventures in Algiers من p1 إلى p304.

العرب، حيث لم يقيم أي أوروبي¹ بزيارتها منذ غزو الجزائر، وجعل من نفسه قيادي بين بني موسى² وخراسنا³، فتلقى منهم كرم الضيافة، ونام في دوارهم، وأكل كسكسهم، وصعد معهم قمة حمّال إحدى أعلى قمم هذه السلسلة. بعد أن أمضى ستة أيام بصحبة العرب، عاد إلى الجزائر عبر رأس ماتيفو وعلى طول شاطئ البحر⁴.

رغم محاولة بوكلر الإتصال بالأمير عبد القادر، إلا أنه لم ينجح في ذلك، وبقي سبب ذلك مجهولاً، حتى أنه لم يشر لذلك في رسائله، فكل ما ذكره عن الأمير عبد القادر كان عن طريق ما رواه له صديقه "كليمرث"⁵ الذي زار الأمير والتقى به، وفي هذا الصدد يقول: "بينما كنت على علاقة بعرب الشرق، كان صديقي كليمرث قد وجد اهتماماً كبيراً بعرب الغرب وأثنى على معسكر عبد القادر الذي كان يخشاه كثيراً. وقدم لي نبذة مختصرة عن رحلته التي أعتقد أنها تستحق الإعادة"⁶. في البداية يصف الجهة الغربية ومدينة وهران وكيف فقدت مركزيتها كعاصمة لبابلك الغرب خلال عهد الأتراك. يقول بوكلر عن صديقه "بعد مكوثه بضعة أيام في وهران أعطى بعض الملاحظة. فهي تقع في منطقة خالية من الأشجار وقد بدأت

¹ بالعودة إلى كتب الرحلة يتبين أن هذا غير صحيح، لأن هنالك رحالة إسكتلندي يدعى توماس كامبل زار الجزائر قبل بوكلر في سنة 1834م. وألف كتاباً بعنوان "رسائل من الجنوب". Letters from the South. وأنا أعكف على ترجمته من الإنجليزية إلى العربية.

² بني موسى أكبر قبائل الوسط الجزائري تمتد بساطتها من تخوم البويرة و بومرداس الى الجزائر و البلدية،أصولها زغيبية هلالية. اقليم هذه القبيلة خصب و منتوجاتها صحية. يجتمعون يوم الاربعاء في سوق اسمه لربعا بين حاميس و الحراش.

³ لم أقف على أصل هذه القبيلة.

⁴ Revue française et étrangère. 1837.TOME1.P410.

⁵ كليمرث رحالة و مترجم. ابن شقيق الجنرال الفرنسي راب Rapp، خدم في البحرية الفرنسية و قدم إلى الجزائر كمترجم.

⁶ Ibid.p305.

تتهاوى تمامًا، وشرع ببليسييه¹ في إنشاء منزل تجاري هناك ولهذا الغرض، كان من الضروري إجراء مقابلة مع عبد القادر لطلب الإذن منه. و بشأن ذلك تلقى المرور الأمن إلى معسكر². يظهر من خلال هذه الرواية أن السلطات الفرنسية كانت ترى في الأمير صاحب سيادة ولم ترد إنشاء أي منشآت عمرانية بدون تصريح منه، وهي الحقوق التي حفظتها معاهدة دي ميشال 1834م، كما حددت سلطة الأمير في إقليم وهران. بعدها يسرد بوككر وقائع الرحلة فيقول "وجدوا في أرزيو زعيمًا عربيًا ينتظر وصولهم ، فقدم لهم إجابة كريمة وتعهد بمرافقتهم. كان هذا الرجل محاربًا مشهورًا ، ولكن مظهره غير مرغوب فيه للغاية، مع تعبير دنيء ودهاء على الوجه الذي لم يكن من الممكن أن يعطي أي ثقة، والذي سرعان ما بدأ مثل المتوحش يطلب منهم الجوارب والمناديل إلخ...."³. بقدر ما يصف بوككر أحد قادة عبد القادر فإنه يحاول أن يظهره للقارئ الأوربي في الشكل الذي يظهر في الخطابات الأوربية، وهي أن الرجل الشرقي غير متحضر أو "متوحش" وهو الخطاب الذي كان سائدا خلال فترة القرن التاسع عشر و كان يقوم على ثنائية التحضر و التوحش. يكمل بوككر سرده قائلا "في صباح اليوم التالي، انطلقوا قبل الفجر من أجل قطع جزء من المسافة. ثم واصلوا رحلتهم ستة فراسخ عبر سهل الهبرة⁴ الذي يقال إنه أكبر بكثير من سهل متيجة، رأى المسافرون العديد من المروج الجميلة وبعض الأراضي المزروعة جيدًا ولكن رغم ذلك لم تصل العين إلى شجيرة واحدة"⁵. بعدها "مشوا لمدة ثلاثة أرباع الساعة عبر بركة ارتفعت مياهها لغاية أحزمة السرج. لقد رأوا هناك أسرابا كاملة من طيور اللقلق والطيور الأخرى، وشيئا من بعيد ظنوا خطأ أنه غابة ولكن لدهشتهم، كان قطيعا كبيرا من الجمال. ثم عبروا في طريقهم غابة حقيقية تتكون من أشجار عالية يمكن تحملها، والتي يبدو أن العرب يستخدمونها بلا مبالاة وإهدار. وصلوا الآن إلى الجبال وعبروا واديا تلو الآخر شديد الانحدار. كانت الأشجار معظمها من الصنوبريات."⁶ بعد أن قطع الوفد تلك المسافة تظهر عاصمة الأمير معسكر أمامهم لكن مساء، وعندها يبدأ في وصفها قائلا "لم يصلوا إلى معسكر حتى الساعة التاسعة مساءً، ووجدوا العاصمة واقعة على سهل مرتفع مبنية من منازل من طابق واحد،

¹ ماريشال بليسييه عسكري فرنسي برتبة مارشال، شارك في إحتلال الجزائر عام 1830 ، تم إرساله مرة أخرى إلى شمال إفريقيا في عام 1844 م خلال الحرب المغربية الأولى ، وقاد الفرنسيين في معركة إيسلي. شغل منصب رئيس أركان ولاية وهران برتبة مقدم.

² Ibid.p305.

³ Hermann Pückler-Muskau. Travels and Adventures in Algiers.P306.

⁴ الهبرة سهل يقع في معسكر.

⁵ Ibid.p306.

⁶ Ibid.p307

ويقطنها حوالي تسعة آلاف نسمة. الجدران المحيطة بها محصنة ومحمية بستة مدافع¹. بوكلم يصف ضيافة الوفد من طرف دوماس² القنصل الفرنسي الذي تم تعيينه بموجب معاهدة دي ميشال. يقول عن ذلك " أقام الرجال الطيبون في منزل القنصل الفرنسي واستقبلهم بحفاوة بالغة وعند عرضهم أمام المجلس، تم تحديد حضورهم على الساعة العاشرة صباح اليوم التالي لتقديمهم إلى الأمير أو السلطان لأنه كثيرًا ما يعتني بنفسه."³

ثالثا. الوصول عند الأمير عبد القادر -مشاهدات وأراء-

في البداية يستعرض بوكلم شخصية الأمير عبد القادر وكيف وسع نفوذه في الغرب " الآن عبد القادر الذي لم يكن قبل فترة وجيزة سوى الإبن الغامض لمرابط، فاز بشجاعة مثل حزب كبير، حتى أنه لم يتجاوز الثلاثين عامًا. تربي ليكون حاكما للبلد الغربي من الإيالة باستثناء جزء من وهران"⁴. يحاول بوكلم من خلال توظيفه لفظ "غامض" أن يعطي فكرة للقارئ الأوربي أن سيرة عبد القادر لغاية مبايعته تبقى مجهولة؟ أما "مرابط" فهو يقصد الأب محي الدين الذي كان يتمتع بحضوة دينية شريفة كونه ينتهي لفئة الأشراف. كذلك لم يغفل بوكلم عن ذكر حدود دولته لغاية تلك السنة وهي 1836م، وأنها شملت كل منطقة الغرب ماعدا مدينة وهران، فتلك الحدود رسمتها معاهدة دي ميشال.

بعدها يتحدث عن الجانب العسكري للأمير عبد القادر وعلاقته مع فرنسا، وكيف استطاع إفتكاك الإعتراف بسلطته من فرنسا، عن طريق المعارك التي خاضها ضدها، وأن فرنسا لن تترك مشروع دولته يتوسع مهما كلفها ذلك. " بعد عدة حروب معه لم ينجحوا فيها دائمًا، فضلوا الاعتراف بسلطته وإرضاء لأنفسهم بتفوق اسمي غير مؤكد. منذ ذلك الوقت كان له تأثير كبير عليهم، فهم لن يتركوه بسبب

¹ Ibid.p306. 307

² دوماس أو دوما ،قنصل فرنسا في دولة الأمير عبد القادر، عين قنصلا بعد معاهدة دي ميشال، ترك كتابا حول جيش الأمير عبد القادر و شخصيته للمزيد أنظر: Daumas, Eugène. Correspondance du capitaine Daumas, consul à Mascara (1837-1839). Adolphe Jourdan, imprimeur-librairie de l'université ; Paris.Paul Geuthner, libraire, 1912.

³ Hermann Pückler-Muskau. Travels and Adventures in Algiers.P307.

⁴ Ibid.p307.

قلقهم من أن يرسخ ويزيد من قوته بأي وسيلة.¹ أيضا من الجوانب التي تحدث عنها بوككر هي عدم خضوع الأمير عبد القادر ورضوخه لتهديدات فرنسا ويذكر ذلك في قوله " في بعض الأوقات كانت علاقاته مع الفرنسيين لا تزال غير محددة. أرسل إليه القائد العام² في وهران إخطارًا كتابيًا بأنه إذا لم يخضع على الفور للشروط المنصوص عليها، فسوف يعرض نفسه للإبادة "³ كان رد الأمير عبد القادر ينم عن شجاعة، فيقول بوككر في رد الأمير على الفرنسيين " الرد العربي جريء،⁴ أوه، حقا! وهكذا فأنت تهددنا. مصيبة! اعرف يا مسيحي أن الحرب هي احتلال، وأعظم سعادة البدوي عند سماعه صوت الحرب، فخيولنا تصهل في سعادة وتفرح زوجاتنا وأطفالنا، لذا تعال مع جنودك المرهقين وسوف ترد عليك صرخة حرب الرجال الأحرار. إذا كنت تريد السلام فلا تهدد، أنا مستعد لعقد معاهدة معك والوفاء بأمانة بما أعدك به... ويمكن أن أبين أنه من مصلحتنا المشتركة أن نظل في سلام "⁵. هذه الرسالة تدل على أن الأمير عبد القادر كان يتجنب الحرب لما فيها من شر على رعيته، لكن عندما تريدها فرنسا المحتلة يكون جاهزا لها، ولعل جاهزية الأمير وتفوقه العسكري جعلت من بوككر يذكر إحدى المعارك التي خاضها فيقول عن ذلك " كما هو معروف كانت الحرب، ومنذ ذلك الحين، حيث عانى الفرنسيون من هزيمة قاسية⁶، وذلك تحت قيادة أحد جنرالاتهم الأكثر كفاءة."

بعدها يصف بوككر عاصمة الأمير عبد القادر معسكر، وكيف دخل الوفد وظروف الإستقبال. " عندما اقترب المسافرون من القصر الذي كان من طابق واحد مرتفع، ولكن إلى حد ما كبير، دخلوا أولاً إلى فناء واسع حيث ثبتت ستة مدافع، ويبدو أن كل مدفعية السلطان تتكون من دزينة. تم اقتيادهم من خلال غرفة مضادة حيث كان العديد من القادة وغيرهم من الرؤساء ينتظرون المواجهة، وبدوا مستاءين إلى

¹ Ibid.p308.

² يرجح أن يكون ديميشيل. لأن الأمير يدعوه لعقد معاهدة سلام وهي التي ستعرف بديميشيل.

³ Ibid.p308.

⁴ يعطي بوككر مثالا عن شجاعة الجزائريين و جرأتهم بنص ذكره قائلا " كتب عرب قبيلة وراء دلس إلى الحاكم، بمناسبة القبض على عدة أسرى غرقت سفينتهم، ووجهوا رسالتهم على النحو التالي:

"إلى والي الجزائر، الذي يملك السيادة، الناس أحرار في دلس، وهم أسيادها ". أنظر: Hermann Pückler-Muskau. Travels and Adventures in Algiers.P309.

⁵ Ibid.p308.

⁶ كان بوككر يقصد موقعة المقطع التي أباد الأمير عبد القادر فيها الجيش الفرنسي تحت قيادة الجنرال تريزيل في 28 جوان 1835 م.

حد ما من كيف للغرباء أن تكون لهم الأسبقية؟¹ بعدها يسترسل بوكلم في وصف مظهر الأمير وكيف كانت محادثته مع الوفد، ومدى حنكته وخبرته الدبلوماسية. "وجد المسافرون أن عبد القادر شاب وسيم لكنه صاحب اللون بلا لحية، جالس على سجادة باهظة الثمن ومغلطة بالكامل بغطاء أرجواني ناعم، اختار أن يميز نفسه عن الآخرين كسلطان ونصف ولي. حيا الغرباء دون أن يتحرك بإيماءة رأس ودية، وأمرهم بأخذ مقاعدهم على الطريقة الأوروبية على الأريكة التي كانت بجانبه. بدأت المقابلة بالهدايا العرفية التي تسلمها ووضعها بجانبه، بعد ذلك أصبحت المحادثة حيوية للغاية وغير مقيدة، حيث أتاحت للجميع الفرصة للإعجاب بجاهزية أجوبة السلطان وردوده. أكد لي السيد كليمرث أنه استنتج بأن عبد القادر يشبه دبلوماسي أوروبا، ذكي وماهر أكثر من كونه محارب عربي فذ."² هذا الإنطباع الذي أورده كليمرث عن شخصية الأمير عبد القادر يبين أن الرجل كان سياسيا، لدرجة أن الأخير شبهه بالدبلوماسيين الأوروبيين، وهي الميزة التي تجلت في شخص الأمير خاصة في مفاوضاته و لقاءاته مع الفرنسيين³.

من بين المشاهدات التي ذكرها بوكلم عن الأمير عبد القادر هي رعاية الأخير و إحترامه لأصحاب العلم، فيذكر مساعدة الأمير عبد القادر لأحدى للباحثين الأوربيين المنقبين عن الآثار "أدهشتني الملاحظة التالية: فقبل أيام قليلة قال لي السلطان لقد تحدث مع طالب عرض فرنسي كان مستعدا للسفر والعودة في الإقليم الخاص به من دولته وتحت حمايته وسلامته على رأسه. أعرب السيد كليمرث عن أسفه لأنه لم يلتقي بهذا الرجل. وقد قيل للأمير أنه نظراً لأن الأوربيين بدوا متحمسين جداً للآثار، فقد أظهر لهم مدينة قديمة جداً ليست بعيدة عن منزله والتي بناها أشخاص مجهولون مليئة بالمعابد. الأعمدة والمباني الكبيرة الأخرى محفوظة بشكل مثالي تقريباً"⁴.

عندما أراد الوفد مغادرة معسكر عاصمة الأمير ، ذكر بوكلم كيف كان كريما وحسن الضيافة معهم. "عندما أراد عبد القادر إنهاء المقابلة، قام بكرم كبير حيث أخبرهم بأنهم أحرار في المغادرة، وعندها تم استقبال بعض السكان المحليين من الطبقات النبيلة. عندما علم السلطان أن الأجانب سوف يغادرون عاصمته في اليوم التالي، قدم لهم بعض الهدايا الصغيرة وطلب منهم أن يعودوا مرة أخرى للترويج. هذه المرة وجدوا الفناء مليئاً بالموسيقين السينين الذين كانت موسيقاهم أسوأ من مظهرهم. مروا في غرفة

¹ Ibid. p309

² Ibid.Pp309.310.

³ يمثل لقاء الأمير عبد القادر مع الجنرال بيجو إحدى أهم الدلائل على دبلوماسية الأمير عبد القادر، حيث كانت مراسيم اللقاء مدروسة، لدرجة أنها دخلت في الحرب البسيكولوجية.

⁴ Ibid.p310.

جلوس مليئة بالأشياء التي يجعلها السلطان هدايا، وهو المخزن الذي أخذ منه هدايا أولئك الوفود¹. بعدما غادر الوفد ذكر بوككر ما يدل أن الأمير كان يتعامل بمبدأ ومفهوم حدود الدولة " كانت المراسيم هي نفسها مثل اليوم السابق. ترك عبد القادر الغرباء راضياً بنفس القدر عن محادثته الذكية وسلوكه اللطيف، ثم أعطاهم نوعاً من الفرمان يخبرهم أنهم بحاجة فقط لإظهاره لأي رئيس أو في أي كوخ للتأكد من المعاملة الودية، وهو وعد صحيح من خلال تجربتهم اللاحقة²".

خاتمة:

يمثل النص الرحلي مادة تاريخية مهمة، فهو يوثق الأحداث والوقائع من زاوية تختلف عن الرواية التاريخية، لهذا تتجلى أهميته في أنه يعيد تركيب الوقائع التي تنعدم فيه الرواية أو يكون مادة يعرف به المؤرخ أحوال منطقة أو شخصية من منظور مخالف، لهذا تجلت قيمة هذا النص الرحلي الأجنبي في :
-أنه أعطى صورة عن الجزائر خلال السنوات الأولى من الإحتلال الفرنسي، وحاول عرض شخصية مقاومة تمثلت في الأمير عبد القادر.

-بينت لنا هذه الرحلة مدى إهتمام الغرب بالشرق، خاصة في فترة القرن 19م، وأن هناك رحالة أوروبيون كثر زاروا الجزائر في تلك الفترة، وأعمالهم لازالت مغمورة إلى اليوم.

-أظهرت الرحلة شخصية الأمير عبد القادر و دولته، ومعاملته مع الفرنسيين، الأمر الذي جعل منه رجل دولة بإعتراف الطرف الآخر.

-لايمكن إغفال تسويق الخطاب الغربي في هذا النص الرحلي، والذي كان سائدا آنذاك، والمتمثل في ثنائية التحضر و التوحش، وهي الذريعة التي إستعملها الإحتلال للدخول إلى البلدان التي كانت تعيش الإنحطاط ومنها الجزائر.

-يقدم الرحالة بوككر الجزائر بصفة عامة و الأمير عبد القادر بصفة خاصة على أنه نموذج فريد لا يتكرر في زمانه، وهذا بعد أن زار مختلف بقاع المشرق العربي.

-لازال نص الرحلة لبوككر الخاص بالجزائر ، يحتاج إلى ترجمة، وهذا ليصل إلى القارئ والباحث الجزائري، لما يحويه من وقائع وأحداث هي في حكم المبتور في تاريخنا خلال بدايات فترة الإحتلال.

¹ Ibid.Pp314. 315.

² Ibid.p315.

- 1-Chevalier Rafael de Weryha-Wysoczański: Strategien des Privaten. Zum Landschaftspark von Humphry Repton und Fürst Pückler, Berlin 2004.
- 2-Christian Friedrich, Ulf Jacob und Marie-Ange Maillet (Hg.): *Fürst Pückler und Frankreich*.
- 3-Ein bedeutendes Kapitel des deutsch-französischen Kulturtransfers. be.bra wissenschaft verlag, Berlin 2012.
- 4-Daumas, Eugène. Correspondance du capitaine Daumas, consul à Mascara (1837-1839). Adolphe Jourdan, imprimeur-librairie de l'université ; Paris. Paul Geuthner, libraire, 1912.
- 5-Hermann Pückler-Muskau. Travels and Adventures in Algiers, and Other Parts of Africa. R. Bentley, 1839.vol1.
- 6-Ludmilla Assing, *Fürst Hermann von Pückler-Muskau*, 1873.
- 7-Ludmilla Assing-Grimelli, ed., *Pückler-Muskau's Briefwechsel und Tagebücher* ("Pückler-Muskau's letters and diaries", 9 vols., Hamburg 1873-1876, reprinted Bern 1971).
- 8-Revue française et étrangère. 1837.TOME1.
- 9-Richard Pankhurst. The Life and Romance of an Ethiopian Slave-girl in Early Nineteenth-century Europe. African Studies Center of the University of California at Los Angeles, 1979.
- 10-Sharon Slater. PRINCE HERMANN VON PÜCKLER-MUSKAU IN LIMERICK, 1828. People & Genealogy. Nov 24, 2014.